الفصل الثاني:
الطريق إلى الجنة
المبحث الأول:
هذا هو الطريق أيها السائرون !

فإلى الجنة دار النعيم التي عرفها لكم .

وهذا هو طريقها واضح معبد عليه أعلامه ، وفوقه أنواره وها أنتم في مبتداه فسيراً حثيثاً إلى منتهاه حيث أبواب الجنة مفتحة أيها السالكون !!

إليكم الطريق كما رسمه رسول الله ﷺ في قوليه :

١ - «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**» .

٢ - «**كلكم يدخل الجنة إلا من أبى، قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ فقال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» إنه عليه الصلاة والسلام في هذين الحديثين قد بين الطريق ورسمه واضحاً لكل ذي بصيرة فهلم أيها الإخوان لنسير سوياً ، إخوانا متحابين وأصدقاء متعاونين فهيا بنا هيا بنا !!

واسمحوا لي أن أتقدمكم رائداً لكم لأصف طريقكم إلى جنة ربكم ، ودار إقامتكم وكرامتكم .

معا إلى الجنة:

واعلم يا عبد الله . أن الجنة لا تنال بالعمل . . وإنما هي فضل من الله ورحمة قال رسول الله ﷺ : «**لن يُدخل أحداً منكم عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة**»[1] .

وأما قول الله جل وعلا : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] فإن الباء في قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] سببية . أي بسبب أعمالهم فالله سبحانه جعل أعمالهم سبباً لفضله ورحمته حيث أدخلهم جنته ، بمعنى

---

(١) مسلم .

أن العمل ليس سببا لدخول الجنة بل سببا لفضل الله ورحمته .

فالجنة محض فضل الله ورحمته ، وإن رحمته وفضله إنما ينالان بفعل ما يرضاه ويريده فبادر إلى خير الأعمال وصالح الأفعال . واحفظ الله ، واسلك سبيله القويم يفض عليك من الرحمات ما يدخلك به أعالي الجنات في تلك الغرفات .

حديث المغفرة:

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**يا ابن آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ منكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا بنَ آدَمَ لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثُمَّ استَغفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ. يَا بنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشرِكُ بِي شَيئاً لأَتَيتُكَ بِقُرَابِها مَغفِرَةً**»[1] .

وقد تضمن حديث أنس المبدوء بذكره أن هذه الطرق الثلاثة يحصل بها المغفرة .

١- الطريق الأول: الدعاء مع الرجاء:

أحدهم: الدعاء مع الرجاء فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] وفى السنن الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال: «**إن الدعاء هو العبادة**» ثم تلا هذه الآية .

والدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه ، وقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه وآدابه .

من أعظم شرائطه:

حضور القلب ورجاء الإجابة:

فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، وإن الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه**»[2] .

وعن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إن هذه القلوب أوعية فبعضها أوعى من**

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .
(٢) أخرجه الترمذى .

بعـــض، فإذا سألتم الله فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب غافل»[١] .

ولهذا نهى العبد أن يقول فى دعائه: اللهم اغفر لى إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة ، فإن الله لا مكره لـه .

نهـى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه .

الله يحب الملحين فى الدعاء:

ولـو طالـت المـدة فإنـه سـبحانه يحـب الملحـين فـى الـدعاء وجـاء فـى الآثـار (إن العـبد إذا دعـا ربـه وهـو يحبه قـال: يـا جـبريل لا تعجـل بقضاء حاجة عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته) .

قال تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف: ٥٦] ، فما دام العبد يلح فى الدعاء ، ويطمع فى الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح لـه ، فعليكم بالدعاء فهو حصن حصين وهو سلاح المؤمن .

عن أنس مرفوعا: «**لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**»[٢] .

من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه:

ومـن أهـم مـا يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخوله الجنة .

وقد قال النبى ﷺ : «**حولها ندندن**» يعنى حول سؤال الجنة والنجاة من النار .

وقـال أبـو مسلم الخولانى: ما عرضت لى دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها .

---

(١) مسند أحمد .

(٢) صحيح الحاكم .

سبب صرف الإجابة عن العبد:

ومن رحمة الله تعالى بعبده أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه يعوضه خيرا منها: - إما أن يصرف عنه بذلك سوءا .

- أو يدخرها له فى الآخرة .

- أو يغفر له بها ذنبا .

ففى حديث جابر عن النبىﷺ قال: «**ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»[1] .

وفى المسند وصحيح الحاكم عن أبى سعيد عن النبىﷺ قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس له فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: - إما أن يعجل له دعوته .

- وإما أن يدخرها له فى الآخرة .

- وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها .

قالوا: إذا نكثر؟ قال: الله أكثر .

وعند الطبرانى: (أو يغفر له بها ذنبا قد سلف) .

بدل قوله: (أو يكشف عنه من السوء مثلها) .

وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة .

والله تعالى يقول: «**أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِى بِى فَلْيَظُنَّ بِى مَا شَاءَ**» .

وفى رواية: «**فلا تظنوا بالله إلا خيرا**» .

ويروى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر مرفوعا: (يأتى الله بالمؤمن يوم القيامة فيقربه حتى يجعله فى حجابه من جميع الخلق فيقول: لم أقرأ فيعرفه ذنبا ذنبا أتعرف؟ أتعرف؟ فيقول: نعم نعم ، ثم يلتفت العبد يمنة ويسرة . فيقول الله تعالى: (لا بأس عليك يا عبدى أنت فى سترى من جميع خلقى ، ليس بينى وبينك أحد يطلع على ذنوبك غيرى غفرتها لك

---

(١) مسند أحمد والترمذى .

بحرف واحد من جميع ما أتيتنى به .

قال: ما هو يا رب؟ قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيرى) .

فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنبا لم يرج مغفرته من غير ربه ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره ، فهذا من صميم التوحيد أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا من الله .

ذنوب العبد وإن عظمت عفو الله أعظم منها:

وقوله: «**إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى**» .

يعنى على كثرة ذنوبك وخطاياك ولا يعاظمنى ذلك ولا أستكثره .

وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «**إذا دعا أحد فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء**» .

فذنوب العبد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم ، فهى صغيرة فى جنب عفو الله ومغفرته . فلا تتعاظم ذنوبك جنب عفو الله ومغفرته وإن كثرت ، وذلك لأن اليأس من روح الله كفر .

وعن جابر: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وهو يقول: واذنوباه ، مرتين أو ثلاثا . فقال له النبى ﷺ : قل: «**اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى، ورحمتك أرجى عندى من عملى**» ، فقالها ثم قال له: (عد ، فعاد ، ثم قال له: عد ، فعاد ، فقال له: «**قم قد غفر الله لك**»[1] .

وفى هذا المعنى يقول بعضهم: يا كثير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر ذنبك أعظم الأشياء فى جانب عفو الله تغفر وقال آخر:

يَا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنُوبِى كَثرَةً ::: فَلَقَد عَلمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ
إن كَانَ لاَ يَرجُوكَ إلاَّ مُحسنٌ ::: فَمَن الَّذِى يَدعُو وَيرجو الْمجرمُ
مَا لِى إِلَيكَ وَسِيلَةٌ إِلاَّ الرَّجَا ::: وَجَمِيلُ عَفوِكَ ثُمَّ إِنِّى مُسلمُ

---

(١) صحيح الحاكم .

الطريق الثاني: الاستغفار لو عظمت الذنوب:

الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت العنان وهو السحاب. وقيل: ما انتهى إليه البصر منها.

بيان معنى الاستغفار:

والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار.

فتارة يؤمر به.

كقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقوله: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣].

وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

التوبة وحقيقتها:

قال رجال السلوك: التوبة أول منزلة من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين.

وهي في لغة العرب: الرجوع. يقال: تاب، أي رجع. فالتوبة: الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

وأجمع العلماء على أن التوبة واجبة من كل ذنب.

فإن كانت معصية بين العبد وبين الله تعالى، فلا تتعلق بحق آدمي، فلها شروط ثلاثة:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم على فعلها .

الثالث: أن يعزم على ألا يعود إليها أبدا .

فإن كانت معصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة .

والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها .

فإن كان مالا ، أو نحوه رده إليه . وإن كان غيبة استحله منها .

وإن كان حد قذف ، أو نحوه مكنه من القصاص أو طلب عفوه .

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته مما تاب منه ، وبقى عليه ما لم يتب منه .

ويقول الجنيد بن محمد البغدادي: التوبة على ثلاثة معان:

أولها: الندم . **والثاني:** يعزم على ترك المعاودة . **والثالث:** يسعى في أداء المظالم .

وإن كان استحلال صاحب الحق يترتب عليه قتل المذنب كالاستحلال من الزنا ، فيكفى الاستحلال العام ، كأن يقول لصاحب الحق: سامحني فيما أخطأت في حقك .

وقد تكلم العلماء في التوبة كثيرًا . ونذكر بعض أقوالهم توضيحا لحقيقتها .

قال أبو علي الدقاق: التوبة على ثلاثة أقسام أولها: التوبة . وأوسطها: الإنابة . وآخرها: الأوبة .

فقد جعل التوبة بداية ، والإنابة وسطا ، والأوبة نهاية ، فمن تاب خوفا من العقوبة فهو صاحب إنابة . ومن تاب استجابة للأمر ، لا لرغبة في الثواب ، ولا لرهبة من العقاب ، بل حبا لله فهو صاحب أوبة ، وهو أعلاها مقاما .

وقال أبو القاسم القشيرى: التوبة صفة المؤمنين . قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور: ٣١] والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣] والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين . قال تعالى: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠] .

وقال ذو النون المصري: توبة العامة من الذنوب وتوبة الخاصة من الغفلة عن ذكر الله، وتوبة الأنبياء من رؤية الأكوان.

وعلى هذا أيضا يفسر قوله ﷺ: «**فإني أتوب إلى الله كل يوم مائة مرة**».

وقال الجنيد البغدادي: التوبة: أن تقبل على الله بالكلية كما أعرضت عنه بالكلية. ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠].

وقال سهل بن عبد الله: التوبة هي: الندم والإقلاع والتحول عن الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة، وهو معنى حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «**الندم توبة**»[1].

والله تعالى يسعف العبد بالعون والتوفيق إلى التوبة التي تحركت نفسه إلى تحقيقها، وتشوقت إليها، وضاقت بما هي عليه من ذنب. وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة: ١١٨].

ولهذا قال رويم البغدادي: التوبة هي إسقاط رؤية التوبة. أي إسقاط رؤيتها صادرة من نفس المسلم، بل منه من الله إليه، وهو منفذ لها بعدما تحركت نفسه إليها، وصدق افتقاره إلى ربه، ولم يجد له مفرا من نفسه غلا إلى الله تعالى، وصدق في التخلق بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فحينئذ يسعفه الله تعالى بالتوفيق إليها، ويعينه على تحقيقها.

وهل ينسى التائب ذنوبه التي تاب عنها؟ أو يذكرها ليندم عليها؟ والإجابة على هذا في مناقشة حدثت بين السري السقطي، وشاب من العباد، رواها الجنيد البغدادي، قال: دخلت على السري فوجدته متغيرا، فقلت له: ما لك؟ قال: دخل على شاب فسألني عن التوبة، فقلت: ألا تنسى ذنبك، فعارضني وقال: التوبة أن تنسى ذنبك. فقلت: وإن الأمر عندي كما قال الشاب. فقال: ولم؟ قلت: لأني كنت في حال الجفاء، فنقلني إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء، فسكت.

---

(١) مسند الإمام أحمد.

أقول: وهذا حق، لأن من شرط التوبة: العمل الصالح، وذكر الذنب ربما عطل عن العمل إذا أصيب التائب بالكآبة من أجله، ويخطئ البعض فيذكرون ما كان منهم من الذنب على سبيل التسلية، وهو خطأ فاحش، وحنين إلى تلك الذنوب في الحقيقة.

والتوبة النصوح لا يبقى على صاحبها أثر من المعصية لا سرا ولا جهرا. ويقول ابن عطاء: من كانت توبته نصوحا لا يبالي كيف أمسى وأصبح، يعني: لا يبالي بما كان منه قبل التوبة، فقد محاه الله من صحيفة عمله.

والتوبة يجب أن تعم الجوارح كلها، وقد أوضح ذو النون المصري ذلك في قوله: على كل جارحة لابن آدم توبة، فتوبة القلب: أن ينوى ترك المحظورات، وتوبة العينين: الغض عن المحارم، وتوبة اليدين: ترك تناول ما لا يحل، وتوبة الرجلين: ترك السعي في الملاهي، وتوبة السمع: ترك الإصغاء إلى الباطل، وتوبة الفرج: القعود عن الفواحش.

وقال عن التوبة النصوح: إنها إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب، والخوف من الرجوع إلى الذنب، وهجران قرناء السوء، وملازمة أهل الحياء، وهذا فيه حث على العمل الصالح والاستزادة منه.

وكما قال ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٦٠].

الاستغفار يقرن بالتوبة:

وكثيرا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان.

والتوبة: عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح وتارة يفرد الاستغفار

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره، صحيح الجامع ٣٠٠٨.

ويرتب عليه المغفرة كما ذكر الحديث وما أشبهه .

فلو قيل: إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة .

وقيل: إن نصوص الاستغفار كلها المفردة مطلقة تقيد بما ذكر فى آية آل عمران من عدم الإصرار .

فإن الله وعد فيها بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه ولم يصر على فعله فتحمل النصوص المطلقة فى الاستغفار كلها على هذا القيد .

ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لى طلب منه للمغفرة ودعائها فيكون حكمه حكم سائر الدعاء فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه ، ولا سيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات .

ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: (يا بنى عود لسانك اللهم اغفر لى . فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا) .

وقال الحسن: (أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم ، وعلى موائدكم ، وفى طرقكم ، وفى أسواقكم ، وفى مجالسكم ، وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة) .

وخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب(حسن الظن) من حديث أبى هريرة مرفوعا: (بينما رجل مستلق إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم فقال: إنى لأعلم أن لك ربا خالقا ، اللهم اغفر لى فغفر له) .

وعن مورق قال: (كان رجل يعمل السيئات فخرج إلى البرية فجمع تراب فاضطجع مستلقيا عليه ، فقال: رب اغفر لى ذنوبى ، فقال:(إن هذا ليعرف أن له ربًّا يغفر ويعذب فغفر له) .

وعن مغيث بن سمى قال: (بينما رجل خبيث فتذكر يوما اللهم غفرانك اللهم غفرانك ثم مات فغفر له) .

ويشهد لهذا ما فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : **«إن عبدا أذنب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا فاغفر لى، قال الله تعالى: علم عبدى أن له ربا يغفر**

الـذنب ويأخـذ بـه، غفـرت لعبدى. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فذكر مثل الأول مرتين أخريين» .

وفى رواية لمسلم أنه قال فى الثالثة: (قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء) .

والمعنى: ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار .

قد يكون الاستغفار مانعا من الاجابة:

والاستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه وإن شاء رده ، وقد يكون الإصرار مانعا من الإجابة .

قـال الـضحاك: (ثلاثـة لا يـستجاب لهم: فذكر منهم: رجلاً مقيما على امرأة زنا كلما قـضى مـنها شـهوته قال: رب اغفر لى ما أصبت من فلانة ، فيقول الرب: تحول عنها وأغفر لـك ، وأمـا ما دمت عليها مقيما فإنى لا أغفر لك ، ورجل عنده مال قوم يرى أهله فيقول: رب اغفر لى ما آكل من فلان فيقول تعالى: رد إليهم ما لهم وأغفر لك ، وأما ما لم ترد إليهم فلا أغفر لك) .

الاستغفار التام الموجب للمغفرة:

هو ما قارن عدم الإصرار .

وقول القائل: أستغفر الله – معناه: أطلب مغفرته فهو كقولـه: اللهم اغفر لى .

فالاسـتغفار الـتام المـوجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة .

وكان بعضهم يقول: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير .

وفى ذلك يقول بعضهم:

أســـتَغفرُ اللهَ مـــن أســـتغفرُ اللهَ ::: مـــن لَفظَـــة بَـــدَرَت خالَفتُ مَعناها
وَكَــيفَ أَرجُــو إِجَابَاتِ الدُّعَاءِ وَقَد ::: سَـــدَدتُ بِالـــذَّنبِ عِندَ اللهِ مَجراها

فأفضل الاستغفار ما قرن به ترك الإصرار وهو حينئذ يؤمل توبة نصوحا وأما من تاب

توبة الكذابين فمراده أنه ليس بتوبة كما يعتقده بعض الناس وهذا حق . فإن التوبة لا تكون مع الإصرار .

هل يجوز أن يزيد العبد في استغفاره:

بقولـــه وأتوب إليه؟:

وإن قال: أستغفر الله وأتوب إليه فله حالتان:

إحداها: أن يكون مصرا بقلبه على المعصية فهو كاذب في قولـه)وأتوب إليه(لأنه غير تائب فلا يجوز لـه أن يخبر عن نفسه بأنه تائب وهو غير تائب .

والثانية: أن يكون مقلعا عن المعصية بقلبه .

فاختلف الناس في جواز قولـه وأتوب إليه: فكرهه طائفة من السلف وهو قول أصحاب أبي حنيفة . حكاه عنهم الطحاوي .

وقال الربيع بن خثيم: يكون قولـه: (وأتوب إليه) كذبة وذنبا ولكن ليقل: اللهم إني أستغفر فتب علي .

وكان محمد بن سوقة يقول في استغفاره: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأسأله توبة نصوحا .

وروي عن حذيفة أنه قال: بحسب من الكذب أن يقول: أستغفر الله ثم يعود .

وسمع مطرف رجلا يقول: أستغفر الله وأتوب إليه .

فتغيظ عليه وقال: لعلك لا تفعل .

وكذلك سئل محمد بن كعب القرظي عمن عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبدا فقال: من أعظم منه إثما؟ يتألى على الله أن لا ينفذ قضاءه . ورجح قولـه في هذا أبو الفرج ابن الجوزي .

وروي عن سفيان نحو ذلك ، وجمهور العلماء على جواز أن يقول التائب: أتوب إلى الله وأن يعاهد العبد ربه على أن لا يعود إلى المعصية ، فإن العزم على ذلك واجب في الحال .

أستغفر الله وأتوب إليه:

واستحب جماعة من السلف الزيادة على قوله: أستغفر الله وأتوب إليه .

فروى عن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول: أستغفر الله وأتوب إليه فقال له: قل يا حميق . قل: توبة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

وسئل الأوزاعى عن الاستغفار: يقول: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى وأتوب إليه فقال: إن هذا لحسن ولكن يقول: اغفر لى حتى يتم الاستغفار .

أفضل أنواع الاستغفار:

وأفضل أنواع الاستغفار: - أن يبدأ العبد بالثناء على ربه .

- ثم يثنى بالاعتراف بذنبه .

- ثم يسأل الله المغفرة .

كما فى حديث شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك، ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[1] .

وعن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: «**قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم**»[2] .

من أنواع الاستغفار:

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه .

---

(١) أخرجه البخارى .

(٢) البخارى ومسلم .

وقد روى عن النبى ﷺ: «**أن من قاله غفر لـــه وإن كان فر من الزحف**»[١].

وعن خباب بن الأرت قال: قلت: يا رسول الله كيف نستغفر؟ قال: ؟؟؟[٢].

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ما رأيت أحدًا أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول: رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور.

كم يستغفر فى اليوم؟:

عنْ أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٣].

وعن الأغر المزنى عن النبى ﷺ قال: «**إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة**»[٤].

وعن حذيفة قال: قلت يا رسول الله إنى ذرب اللسان وإن عامة ذلك على أهلى فقال: أين أنت من الاستغفار؟ إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة[٥].

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله لـــه من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[٦].

قال أبو هريرة: إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديتى وقالت عائشة رضى الله عنها: طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيرا.

---

(١) خرجه أبو داود والترمذى.
(٢) عمل اليوم والليلة للنسائى.
(٣) صحيح البخارى.
(٤) صحيح مسلم.
(٥) مسند أحمد.
(٦) سنن أبى داود.

دواء الذنوب الاستغفار:

وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار .

من حديث أبى ذر مرفوعا: إن لكل داء دواء ، وإن دواء الذنوب الاستغفار .

قال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فأما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار .

وقال بعضهم: إنما معول المذنبين البكاء والاستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الاستغفار .

قال رياح القيسى: لى نيف وأربعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة .

طلب الاستغفار ممن قلت ذنوبه:

ومن زاد اهتمامه بذنوبه فربما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه فالتمس منهم الاستغفار وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: إنكم لم تذنبوا .

وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكتاب قولوا: اللهم اغفر لأبى هريرة .

فيؤمن على دعائهم .

قال بكر المزنى: لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لى لكان قبوله أن يفعل .

ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم . فإن الله قد كتب كل شىء وأحصاه كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾[المجادلة: ٦] .

وفى حديث شداد بن أوس عن النبى ﷺ: «**أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب**» .

وفى مثل هذا يقول بعضهم:

أستغفرُ اللهَ ممَّا يَعلَمُ اللهُ ::: إنّ الشَّقِيَّ لَمَن لاَ يَرحَمُ اللهُ
مَا أَحلَمَ اللهَ عَمَّن لاَ يُرَاقِبُهُ ::: كُلٌّ مُسِيءٌ ولَكِن يَحلُمُ اللهُ

فأســتغفر اللهَ ممَّــا كَــانَ من زَلَلٍ ::: طُــوَبى لمــن كَــفَّ عَمَّا يَكرَهُ اللهُ
طُوبَــى لِمَــن حَــسُنَت سَــرِيَرتُهُ ::: طَوبَــى لِمَــن يَنتَهِــى عَمَّا نَهَى اللهُ

الاستغفار طريق إلى الجنة:

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا بن آدم إنــك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني إلا غفرت لك، ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض مــن خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقراها مغفرة**»[1] .. وقراب الأرض: ملؤها، يعنى قرب ملؤ الأرض خطايا.

وعـن أبي سـعيد عـن النبى ﷺ قال: «**قال إبليس: وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامــت أرواحهــم في أجسادهم فقال الله عز وجل: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى**»[2].

وعـن أم عـصمة – رضـي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يعمل ذنــبا إلا وقــف الملــك ثلاث ساعات، فإن استغفر من ذنبه لم يوقفه عليه، ولم يعذبه يوم القيامة**»[3].

الطريق الثالث: التوحيد:

طـريق مـن طـرق المغفـرة وسـبب لدخـول الجـنة: وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦] فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض، وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر لـه، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد فى النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حسن.

(٢) رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

قال بعضهم: الموحد لا يلقى فى النار كما يلقى الكفار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار.

تحقيق التوحيد يوجب مغفرة الذنوب:

فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية.

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية ورجاء وتوكلا.

وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات كما سبق ذكره فى تبديل السيئات حسنات فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات.

وعن أم هانئ عن النبى ﷺ قال: «**لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل**»[١].

عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «**ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: الحمد لله اللهم بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى الجنة عليها وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا، فإن الله قد غفر لكم**»[٢].

قال الشبلى: من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها فصار ذهبا أحمر ينتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له.

التوحيد يطهر القلب:

إذا علقت نار المحبة بالقلب أحرقت منه كل شىء ما سوى الرب عز وجل فطهر القلب

---

(١) مسند أحمد.

(٢) مسند أحمد.

حينئذ من الأغبار وصلح غرسا للتوحيد، الذى هو قطب رحى الإسلام، ومفتاح الجنة دار السلام.

ما وسعنى سمائى ولا أرضى، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن.

دعوة إلى رحاب الله الودود:

الدلائل على حب الله تعالى لعباده في القرآن الكريم لا تحصى وأهمها: قبوله تعالى توبة العصاة، والتجاوز عن سيئاتهم، والإنعام بالرضا، والحب بعد الغضب.

التوبة والإيمان والعمل الصالح باب الفلاح في الدنيا والآخرة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣].

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤].

﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [التوبة: ٣].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠] .

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [القصص: ٦٧] .

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [غافر: ١ - ٣] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨] .

﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧] . إلى آيات كثيرة تدعو الخاطئين إلى رحاب الله الودود الرحيم التواب الغفور، بعدما بارزوه بالعصيان فسبحانه من متفضل منعم في حالي الطاعة والعصيان .

وتدل الآيات على: أن الله تعالى يبسط يديه بالرحمة والمودة الفائضة على العباد ليقبل توبتهم، ويمحو سيئاتهم .

ومن رحمته تعالى: أن يبدل سيئات التائب حسنات جزاء له على توبته ورجوعه إلى رحابه .

التوبة والاستغفار باب من أبواب القوة والثروة والغنى للإنسان ماديا ومعنويا .

ليس الله تعالى محبا للانتقام والتعذيب للمؤمنين ولكنه رحيم ودود للمؤمن الراجع إليه .

لا يحل غضب الله حقيقة إلا على الكافر المصر على الكفر، والمصر على الذنب، المستهتر بحرمات الله، أما النادم فهو قريب من رحمة الله، لقوله ﷺ : «**الندم توبة**» .

لقد علم الله الإنسان كلمات التوبة وأعمالها بعد أن عصاه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٧] . فلا رحمة ولا مودة أعظم من ذلك، وما زال الرحمن الرحيم يبسط يديه إلى عباده ليقبل عنهم التوبة حبا لهم، وهو غنى عنهم .

والرسول ﷺ يرشدنا إلى الطريق:

قال الله تعالى لرسوله الرءوف الرحيم ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال الله عنه ﷺ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعليه فقد بعثه الله رحمة للمؤمنين وغير المؤمنين، وانفرد المؤمنون بالرأفة والحرص منه ﷺ.

ولهذا تكررت إرشاداته ﷺ للناس أن يسرعوا بالتوبة من الذنوب، واستغفار الله إياها، رحمة بهم، وعن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: «**يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**»[1]، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] وتنبيه إلى أن الخطأ من طبيعة الإنسان.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[2].

وهذا لأن الذنب المقرون بالاستغفار فيه زيادة معرفة بالله، وإقرار بالعبودية له، والذل بين يديه، وذلك أحب إلى الله من طاعة مقرونة بالعجب والنسيان.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ فيما يحكيه عن ربه تعالى أنه قال: «**أذنب عبدي ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**»[3].

وهذا الحديث شرح للحديث قبله، وإشارة إلى أن تلك المغفرة لغير المصرين

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم.

على الذنوب، وإلى أنها لمن يحسن الخوف والرجاء على حقيقتهما. وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]. وليس العلم بلا إله إلا الله سهلا كما يبدو، بل هو من أصول السلوك. فهو يقتضي أن يسلك المؤمن في حياته موقنا أنه لا نافع ولا ضار سواه، ولا يتوكل على أحد سواه، ولا يجزع إن قضى عليه بما لا يوافق هواه، ويوقن أن كل ما يرد عليه من القضاء فإنما هو خير.

وعن جندب أن رسول الله ﷺ حدث: «**أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله تبارك وتعالى قال: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك**»(١).

يتألى: يقسم. أحبطت: أبطلت ثوابه وإنما غضب الله على هذا الرجل؛ لأنه حجر واسعا من رحمة الله، ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة. فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين. فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما، أو على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب ادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**»، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته(٢).

أقصر: كف عن ذنبك. أوبقت: أهلكت.

والحديث شرح للحديث الذي قبله، وفيه بيان العلة في غضب الله على من يجزم بأن الله لا يغفر لإنسان مذنب.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: **«يا بن آدم، إنَّك ما دَعَوتَني ورَجوتَني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالي. يا ابن آدم، لو بلَغت بك ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّمَاءِ ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي. يا بن آدم، لو أتيتَني بِقُرَاب الأَرض خطايا، ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئاً أتيتُك بِقُرابها مغفرة»** (١) .

عنان السماء: أعلاها . قراب الأرض: ملء الأرض .

وتلك المغفرة لأهل الدعاء والاستغفار والبراءة من الشرك الظاهر، والخفي .

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : **«لله أشد فرحا بتوبة أحدكم حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»** (٢) .

فلاة: لا نبات فيها . أيس: يئس . راحلته: ناقته . الخطام:الزمام .

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»**(٣) .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»**(٤) .

وليس معنى هذا الدعوة إلى التسويف بالتوبة ، بل هو إخبار عن الواقع في شأن العباد ، وأن باب التوبة مفتوح حتى تظهر هذه العلامة التي لا ندري متى تظهر .

---

(١) أخرجه الترمذي .
(٢) أخرجه مسلم وأحمد .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) أخرجه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ: «**كل بني آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون**»[١].

وعن ابن عباس وأنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثالث، ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب**»[٢].

والحديث يشير إلى أن المال سبب رئيسي من أسباب فساد الإنسان، واختلال توازنه، وضلاله في الدين، وذلك إن كان همه جمع وكنز المال فقط، أما إذا استخدمه لخدمة الدين ونشر دعوة الإسلام ودين الحق والإنفاق على الفقراء والمساكين ومراعاة الحقوق والتوجه به إلى الآخرة فلا بأس.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم. فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى مدينة كذا وكذا، فإن فيها ناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاءنا تائبا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاهم ملك بصورة آدمي فجعلوه بينهما حكما فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**»[٣].

وفي رواية: فكان إلى الأرض الصالحة أقرب بشبر، فجعل من أهلها.

وفي رواية: فأوحى الله تعالى إلى هذه: أن تقربي وإلى هذه: تباعدي، وقال: قيسوا ما

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه بسند قوي عن أنس.
(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

بينهما، وهو معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: سبقت رحمتي غضبي. ودعوة من الله إلى الرجاء مع الإقلاع عن الذنب، فالرجاء هنا صحيح مستجاب.

وأخرج البغويّ في شرح السنة، قال لقمان الحكيم لابنه: عود لسانك: اللهم اغفر لي. فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا.

وأخرج عن زيد بن أسلم: يؤتى برجل يوم القيامة فيقال: انطلقوا به إلى النار. فيقول: يا رب، أين صلاتي وصيامي؟ فيقول الله عز وجل: اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها.

وعلى هذا درج كثير من الوعاظ في عصرنا الحاضر، وأهملوا الوجه المقابل، وهو: تحبيب الله إلى العباد، بذكر رحمته وسعتها مع الحث على التوبة، فالمهم أن نأخذ بأيدى الناس وخصوصا أهل المعاصى منهم، لابد أن نأخذ بأيديهم إلى طريق الجنة بالرحمة والموعظة الحسنة والرفق واللين، فلا تكونوا أعوانا مع الشيطان على إخوانكم.

الخوف والرجاء:

إن الذنوب يجب أن يقترن بها الخوف، والتوبة. والأعمال الصالحة يجب أن يقترن بها الرجاء.

ويخطئ كثير جداً من الناس، فيستعملون الرجاء في غير موضعه، إذ يرجون، وهم مقيمون على الذنوب، ويقولون: إن الله واسع المغفرة، وهو الغفور الرحيم، وليس هذا رجاء، وإنما هو الغرة بالله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦] وفرق بين الغرة والرجاء.

وقد ضرب مثلا لهؤلاء المخطئين في استعمال الرجاء فقال: مثلهم كمثل سيد قال لعبده: إن فعلت ما أمرتك به أعطيتك ألف درهم وبيتا تسكنه، وإن لم تفعل حبستك وضربتك ألف سوط، فلم يفعل العبد ما أمر به، وقال: إن سيدي يحبني وسيعطيني ما وعدني، وذهب إليه بهذا الأمل الكاذب، فضربه، وحبسه، ولم يعطه شيئا.

فالاستعمال الصحيح للرجاء هو الإقلاع عن الذنب، والبدء في ممارسة الأعمال

الصالحة . وهنا يكون الرجاء الحق .

أما الخوف فيجب أن يقترن بالحظأ واقتراف الذنوب ، فربما أدى الخوف إلى التوبة .

أما الرجاء مع الذنب فيؤدى إلى الغرة . ثم الانسلاخ من الدين .

الخوف من الله باب من أبواب المغفرة :

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال عن الله عز وجل: **«يا بن آدم كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألوني أعطكم، وكلكم ضال إلا من هديت فاسألوني الهدى أهدكم، ومن استغفرني وهو يعلم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له، ولا أبالي، ولو أن أولكم، وآخركم، وحيكم، وميتكم ورطبكم، ويابسكم، اجتمعوا على قلب أشقى واحد منكم ما نقص ذلك من سلطاني مثل جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم ورطبكم، ويابسكم اجتمعوا على قلب أتقى رجل واحد منكم ما زاد في سلطاني مثل جناح بعوضة، ولو أن أولكم، وآخركم، وحيكم، وميتكم، ورطبكم، ويابسكم، سألوني حتى ينتهي مسألة كل واحد منهم فأعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كمغرز إبرة لو غمسها في البحر، وذلك أني جواد ماجد واجد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما إذا أردته أقول له كن فيكون»** [1] .

ما يوجب الجنة :

عن ابن عمر قال: (يجيء القرآن يشفع لصاحبه يقول: يا رب ، لكل عامل عمالة ، وإني كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه . فيقال: ابسط يمينك فيملأ من رضوان الله . ثم يقال: ابسط شمالك ، فيملأ من رضوان الله ، ويكسى كسوة الكرامة ، ويحلى حلية الكرامة ، ويلبس تاج الكرامة)[2] .

---

(١) هذا لفظ البيهقي . وزاد مسلم: (يا عبادي إني قد حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه .

عن أبي أيوب الأنصاري: أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال القوم: ما له؟ ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**»[١].

وعن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**». وقال بأصبعيه السبابة والوسطى[٢].. قال: أي أشار.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم تدرك له ابنتان، فيحسن إليهما ما صحبتاه، أو صحبهما - إلا أدخلتاه الجنة**»[٣].

وعن أبي وائل قال: قال ابن مسعود: خصلتان، يعني: إحداهما سمعتها من رسول الله ﷺ والأخرى من نفسي: «**من مات وهو يجعل لله ندا أدخل النار**»[٤] وكذلك: من مات وهو لا يجعل لله ندا، ولا يشرك به شيئا دخل الجنة..

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا، وجبت له الجنة**»[٥].

والرضى بذلك كله هو عين العمل الموجب للجنة، لا مجرد القول باللسان.

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، وجبت له الجنة**»[٦].

وعن سهل بن معاذ، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاة الفجر، ثم قعد يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة**»[٧].

وعن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ خواتيم**

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه الإمام أحمد.
(٤) أخرجه الإمام أحمد.
(٥) رواه أبو داود.
(٦) أخرجه النسائي.
(٧) أخرجه ابن السني وأبو يعلى الموصلي.

سورة البقرة في ليل أو نهار، فمات من يومه أو ليلته، فقد أوجب الله لــه الجنة»[١] . وذلك بشرط العمل بما فيها ، لا مجرد القراءة .

وعـنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ : «**من قال دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعط محمدا الوســيلة. اللـــهم اجعل في الصديقين صحبته، وفي العالمين درجته، وفي المقربين ذكره، فقد استوجب علي الشفاعة ووجبت لــه الجنة**»[٢] .

وذلـك لأن المواظبة على ذلك تورث حب الرسول ﷺ ، وحبه يورث متابعته ، والسير على منهاج سنته .

عـن أبـي الأسـود الدؤلـي قـال: أتـيت المديـنة فوافيـتها ، وقـد وقـع فـيها مـرض ، فهـم يموتـون مـوتا ذريعـا ، فجلـست إلى عمـر بـن الخطـاب رضـى الله عـنه ، فمـرت جـنازة فأثنـى علـى صـاحبها خـيراً ، فقـال عمـر: وجـبت ، ثـم مـر بأخـرى ، فأثنـى على صـاحبها خـير ، فقـال: وجـبت ، ثـم مـر بالثالـثة ، فأثنـى علـى صـاحبها شـراً . فقـال: وجـبت . فقـال أبـو الأسـود: مـا وجـبت يـا أمـير المؤمـنين؟! قـال: قلـت كما قال رسول الله ﷺ : «**أيمــا مــسلم شــهد لـــــه أربعــة بخير، أدخله الله الجنة. قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة قلنا: واثنان؟ وقال: واثنان ولم نسأله عن الواحد**»[٣] .

وعن أبي هريرة قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ فسمع رجلا يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] . فقال رسول الله ﷺ : «**وجبت**» فقلت لـه: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**الجنة**»[٤] .

وعـن حنظلة الكاتب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من حافظ على الصلوات الخمس، ركــوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وعلم أنهن حق من عند الله تعالى، وجبت لــه الجنة أو**

---

(١) أخرجه البيهقي .
(٢) أخرجه ابن السني .
(٣) أخرجه الترمذي وأحمد .
(٤) أخرجه ابن السنى .

قال: حرم على النار»[١].

عن أنس أن أبا بكر الصديق، دخل على النبي ﷺ، وهو كئيب، فقال النبي ﷺ: «ما لي أراك كئيبا؟» قال: يا رسول الله، كنت عند ابن عم لي البارحة، وهو يكيد بنفسه. قال: «فهلا لقنته لا إله إلا الله؟» قال: قد فعلت. قال: «فقالها؟» قال: نعم. قال: «وجبت له الجنة». قال أبو بكر: يا رسول الله، كيف هي للأحياء؟ قال: «هي أهدم لذنوبهم. يكيد بنفسه: أي في النزع الأخير»[٢].

وعن عقبة بن عامر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أنكل ثلاثة من صلبه، واحتسبهم على الله في سبيل الله، وجبت له الجنة»[٣]، وأنكل مات له.

سعة رحمة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فالإحسان في العمل، وعمل الصالحات هو الذي يقرب من رحمة الله تعالى، وليست رحمته تنال بالتمني، ولكن شرطها الإحسان وهو «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي تغلب غضبي»[٤]، وفي رواية: سبقت غضبي.

عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة منها مثل طباق السماوات والأرض فجعل منها في الأرض رحمة واحدة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحوش والطير بعضهم على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها الله بهذه الرحمة»، وفي بعض الطرق: حتى يرحم الله بها عباده يوم القيامة، وفي رواية: (حتى أن إبليس لعنه الله

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، والإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي.
(٣) أخرجه الإمام أحمد والطبراني. ورجاله ثقات.
(٤) رواه البخاري.

ليتطاول إليها رجاء أن يصيب منها)[١] .

وعن أبي سعيد عن عمر قال: قدم على رسول الله ﷺ سبى ، فإذا امرأة من السبى تسعى ، حتى إذا وجدت صبيا من السبى فألصقته بقلبها ، فقال رسول الله ﷺ : «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله ، وهي تقدر على ألا تطرحه ، فقال رسول الله ﷺ : «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٢] .

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله، عز وجل للمؤمنين يوم القيامة، وبأول ما يقولون له**» . قالوا: نعم يا رسول الله . قال: «**إن الله تعالى يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم ربنا. قال: وما حملكم على ذلك: قالوا: عفوك ورحمتك ورضوانك. فيقول: إني قد أوجبت لكم رحمتي**»[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله عز وجل، مستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها: أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله عز وجل شيء**»[٤] الله أكبر . . . . . ما أعظمها لا إله الا الله .

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «**حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد معه شيء من الخير، إلا أنه يخالط الناس، وكان موسرا فيأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر.**

---

(١) أخرجه مسلم . وأخرجه ابن ماجه .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم .
(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده وأحمد .
(٤) أخرجه الترمذي ، وقال: حسن صحيح ، وابن ماجه .

قال الله عز وجل: أنا أحق بذلك، تجاوزوا عن عبدي» [١].

وعن ابن عمر، أنه قيل لـه: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه، حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول رب أعرف. قال: فيقول: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رءوس الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** [هود: ١٨] [٢]».

وهـذا للمؤمن بنص الحديث. والمؤمن هو المعتقد بقلبه وحدانية الله ورسالة رسوله ﷺ، العامل بما فيها، فتصبح سيئاته متبوعة بالتوبة والرجوع إلى الحق.

حـدث سعد قال: سئل النبي ﷺ، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد، وإن كان في دينه رقة خفف عنه. ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما لـه خطيئة**»[٣].

وعـن أبـي ذر قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» [٤].

عـن أبـي هريـرة قـال: قال رسول الله ﷺ: «**من أذهبت حبيبتيه، فصبر، واحتسب، لم أرض لـه بثواب دون الجنة**» [٥].

حبيبتيه: عينيه. احتسب: أي: اصبر لله.

والمسلم مطالب بالصبر خصوصا عند نزول المصيبة والابتلاء، وإذا رأى غيره فى محنة أو ابتلاء يحمد الله على العافية ودوام العافية.

وعـن أبـي سعيد، عن النبي ﷺ: «**ومن قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا**

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه الدارمي.
(٤) أخرجه الدارمي.
(٥) أخرجه الدارمى.

إلـه إلا هـو غفـر الله ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت مثل رمل عالج وأيام الدنيا»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «من تعار أي: استيقظ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شـريك لـه الملك ولـه الحمد، وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكـبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استجيب لـه، فإن عزم وتوضأ وصلى قبلت صلاته»[٢].

وعـن سعد بن أبي وقاص، أن النبي ﷺ قال لجلسائه: «أيعجز أحدكم أن يكسب ألف حـسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح أحدكم مائة تسبيحة، تكتب لـه ألف حسنة، وتحط عنه ألف سيئة»[٣].

وعـن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال يوما لأصحابه: «قولوا: سبحان الله وبحمده مائة مرة، من قالها مرة كتبت لـه عشرا، ومن قالها عشرا كتبت لـه مائة ومن قالها مائة كتبت لـه ألفا، ومن زاد زاده الله، ومن استغفر الله غفر لـه»[٤].

وعـن معـاذ بـن جبل قـال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا على حمار، فقال: «يا معاذ، هل تـدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» فقلـت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم»[٥].

وعن أنس أن الرسول، ﷺ قرأ - أو تلا - هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] فقال: «قال الله عز وجل: أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله آخر فمن اتقى أن يجعل معي إلها آخر، فأنا أهل أن أغفر لـه»[٦].

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، ومسلم، والنسائي.

(٢) أخرجه البخاري، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي.

(٣) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. ومسلم، والنسائي، وابن حبان.

(٤) أخرجه الترمذي.

(٥) أخرجه الشيخان، وأبو داود، والنسائي، والدارمي، والترمذي، وابن ماجه.

(٦) أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد.

والمراد: البراءة من الشرك الخفي والظاهر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»(١).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة على كثبان المسك** - أراه قال: يوم القيامة - **يغبطهم الأولون والآخرون: رجل ينادي بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة. ورجل يؤم قوما وهم به راضون، وعبد أدى حق الله، وحق مواليه**»(٢).

وعن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوما فسألهم بالله، ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم، فمنعوه، فتخلف رجل من أعيانهم فأعطاه سرا، لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم، حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به، فوضعوا رؤوسهم، قام رجل يتملقني، ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية فلقي العدو فهزموا، فأقبل بصدره حتى يقتل، أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم**»(٣).

وعن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، لا ملجأ، ولا منجا، إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مات مات على الفطرة**»(٤).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من الجنة أحد**»(٥).

قنط: يئس، والشاهد: أن العبادة لله عز وجل ينبغي أن تكون بين الخوف والرجاء (خوفا من عذابه وطمعا في رحمته).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلقان لا يحصيهما رجل**

---

(١) أخرجه ابن ماجه ورجاله ثقات.
(٢) أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان.
(٣) أخرجه الترمذي، وقال: صحيح، والنسائي، وابن حبان، والحاكم.
(٤) أخرجه الدارمي، والترمذي وقال: حسن صحيح.
(٥) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي.

مسلم، إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل، يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا، ويحمده عشرا، ويكبره عشر» قال: فأنا رأيت رسول الله ، ﷺ يعقدها بيده - قال: «فتلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك، تسبحه ثلاثا وثلاثين، وتحمده ثلاثا وثلاثين، وتكبره أربعا وثلاثين، فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟»[١] .

يعني: يغفر بها ألفين وخمسمائة سيئة . .

وعن كعب بن عجرة ، أن النبي ﷺ قال: «معقبات لا يخيب قائلهن: تسبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وتحمده ثلاثا وثلاثين، وتكبره ثلاثا وثلاثين»[٢] .

وقال الحسن: عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ : «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها: رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فيعرض عليه صغارها فيقال: عملت يوم كذا وكذا؟ فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: إن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب، قد عملت أشياء لا أراها ههنا؟! قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[٣] .

وعن أبي سعيد ، أن رسول الله ، ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر أي البعيد في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[٤] .

وعن أبي سعيد ، أن رسول الله ، ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح ، وأحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان وصححه .

(٢) أخرجه مسلم ، والنسائي ، والترمذي .

(٣) أخرجه مسلم والترمذي .

(٤) أخرجه البخاري ، ومسلم ، والدارمي .

نرضى ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربنا، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[١].

وعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم أحد يدخله عمله الجنة، ولا ينجيه من النار. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[٢].

من هنا نفهم أن الاعتماد على العمل فقط دون سؤال الله الرحمة لا يكفي فالمطلوب سؤال الله الرحمة والطمع فيها فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وعن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**إن من عباد الله لأناسا، ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله**». قالوا: يا رسول الله فخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**»[٣].

وعن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثيا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[٤].

وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا كما وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٥].

وعن صهيب، أن رسول الله، ﷺ قال: «**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله إلى خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء**

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي.
(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد.
(٣) أخرجه أبو داود.
(٤) أخرجه البخاري.
(٥) أخرجه البخاري، والترمذي، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي.

صبر، فكان خيرا لـه»[1].

وحقيقة الشكر: الاعتراف بالمنة لله تعالى في النعمة، واستعمال النعمة فيما يرضى المنعم.

وحقيقة الصبر: السكون تحت سلطان الأقدار، فيما ينزل بالعبد، دون جزع ولا شكوى للخلق، ولا يأس من رحمة الله، والصبر كله خير ومآله إلى خير، والصبر مفتاح الفرج!!!

الرياء يحبط الأعمال:

تبين لنا من كل ما نقلناه من السنة المطهرة: أن مباني الإسلام الخمسة، كل واحد منها يكفر الذنوب والخطايا ويهدمها، وأن: (لا إله إلا الله) لا تبقى ذنبا، ولا يسبقها عمل والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، وأن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وأن الحج المبرور يطهر صاحبه من الذنوب كيوم ولدته أمه، وأن الدعاء منه ما يعود برضا الله، حتى يصيب العبد به الجنة مع قليل العمل.

وسر ذلك كله الإخلاص. يعني إخلاص العمل لله وحده لا شريك لـه، لا لشيء آخر سواه، فإذا كان العمل غير مخلص لله لا يقبل، وبالتالي لا يؤثر في أي أثر، ولا يكفر أي ذنب ولا يوجب أي ثواب.

ونظرا " لكثرة دوران كلمة الإخلاص على الألسنة، فقد ادعاها بعض الناس، دون تحقيق ولا تدقيق في معناها.

الإخلاص مقدم على النبوة والرسالة في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾[مريم: ٥١]، وذلك لشرف الإخلاص وفضله، وتقدم وجوده على وجودهما، وكونه سببا في الترشيح لمنصب الرسالة والنبوة.

وحقيقة الإخلاص: تصفية العمل عن ملاحظة الخلق، وتحديد الإرادة بالعمل لله وحده

---

(١) رواه مسلم.

دون شيء آخر سواه، وبهذا المعنى وحده تتحقق نجاة الإنسان من سوء الذنوب وسوء الدنيا بوجه عام، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، فأنت ترى الإخلاص سببا في صرف السوء والفحشاء عن يوسف عليه السلام، كما أنه سبب لاصطفاء المخلصين للنبوة والرسالة. وحب الله حسب درجات الإخلاص.

فالإخلاص شرط عام في قبول جميع أنواع الطاعات، وكل عمل خلا منه فهو إلى الهلاك أقرب، ففي الحديث المرفوع: **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه»** ولأهمية الإخلاص كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس.

وكتب سالم بن عبد الله بن عمر، إلى عمر بن عبد العزيز: اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر نيته، فمن خلصت نيته، تم عون الله له، ومن نقصت نيته نقص عنه من عون الله بقدر ذلك. ولهذا فليست العبرة بكثرة الأعمال، وكثرة الأدعية بقدر ما هي بالإخلاص فيها، ولو كانت قليلة، ولذلك قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: **«أخلص العمل يجزك منه القليل»**.

وكذلك أقول لك أخي الكريم: أخلص العمل فإن الناقد بصير.

ومراتب الإخلاص ثلاث:

١-إخلاص الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان وهو العمل لله وحده دون ملاحظة أي غرض دنيوي ولا أخروي بل لمجرد الحب لله وطاعة أمره.

٢- العمل لله وحده ليمنح الله العامل المخلص حظا أخرويا، مثل تكفير الذنوب، والظفر بالجنة.

٣- العمل لله وحده رغبة في حظ دنيوي مباح، كتوسعة الرزق، ودفع المؤذيات.

وما سوى ذلك فهو رياء مذموم، وشرك محبط للأعمال. والرياء المحرم المحبط للعمل هو: العمل لطلب حظ دنيوي، وغلبة هذا الحظ على القلب أثناء العمل وبعده وقبله،

وهو على مراتب:

١- أن يحسن العمل في الظاهر أمام الناس ليحظى بالثناء عند الناس، وبالاشتهار بالصلاح والتقوى.

٢- وهي أقبح من الأولى: أن ينشط في العمل أمام الناس، ويكسل إذا كان وحده.

٣- وهي أقبح الكل: أن يجعل صورة الطاعة وسيلة لاكتساب أمر محرم، كأن يجود العمل في الظاهر لتساق إليه الودائع ثم يأخذها لنفسه: أو تقربا من امرأة يحبها.

والرابعة: وهي أخف الجميع: أن يجود العمل لا لتحصيل غرض دنيوي، وإنما خوفا من أن ينظر الناس إليه بعين الاحتقار، ولا يعدوه من الأخيار.

وكله رياء، وقليل الرياء شرك، ولكنه درجات، وكل عمل خالطه الرياء، فلا ثواب له، لما ورد في الخبر: «**من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برىء**». وأخرج ابن جرير مرسلا: «**لا يقبل الله عملا فيه مثقال حبة من الرياء**».

وعن شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ: «**من صلى مرائيا فقد أشرك، ومن تصدق مرائيا فقد أشرك**». فقال عوف بن مالك لشداد: أفلا يعمد الله إلى ما كان له من ذلك، فيقبله ويدع ما سواه؟ فقال شداد: سمعت رسول الله يقول: «**قال الله عز وجل: أنا خير شريك أو قسيم، من أشرك بي فعمله قليله وكثيره لشريكي وأنا منه برىء**»[1].

فإذا عقد الإنسان نيته على العمل مخلصا لله، ثم طرقه الرياء أثناء العمل فلذلك حالتان: الأولى: أن يكون العمل مما يرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصوم ونحوهما، وهذا إذا صحح الإنسان نيته في أوله، ثم طرقه الرياء، فلا شيء عليه إذا حاول دفع الرياء والتخلص منه قدر طاقته.

الثانية: أن يكون العمل مما تستقل أجزاؤه، كالقراءة والأذكار، بدأها مخلصا، ثم طرقه، فلا ثواب لما بعد طروق الرياء.

وإذا عمل العمل مخلصا كما يجب عليه، وبعد الانتهاء منه أثنى الناس عليه فلا يضره،

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده.

لحديث مسلم: «**تلك عاجل بشرى المسلم**»[١].

وقد يعمل الإنسان عملا من أعمال البر خالصا لله، ثم يبطله بعد زمان طويل، وهو لا يشعر.

وذلك كالرجل يصنع الخير مع رجل آخر، يريد به الله وحده، ويمضي زمن طويل، ثم يقصد الرجل الذي صنع المعروف، صاحبه الذي صنع إليه المعروف في حاجة، فلا يقضيها لـه، فيذكـر لـه أو للناس أو في نفسه نادما: أنه صنع إليه معروفا منذ كذا وكذا سنة، وفي هذه الحالة أفسد نيته الماضية، وأحبط عمله الذي مضى صحيحا وهو لا يشعر.

وكالعالم يريد بعمله وجه الله، فوجد الناس بعد زمن طويل، لا يعدونه بين المجيدين من العلماء فغضب، فأفسد بغضبه نيته، وأبطل إخلاصه وهو لا يشعر.

وعلـى هـذا وجـب علـى المؤمن أن يراقب نفسه، وأن يحذر خداعها لئلا تحبط عمله، وأن يحافظ على نيته الصالحة قبل العمل، وأثناء العمل، وبعد العمل إلى ما شاء الله من أيام حياته.

الاستكثار من طلب الثواب:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وذلك لأن الحسنات إذا كثرت رجحت على السيئات في الميزان، فضلا عن أن الحسنة في ذاتها تمحو السيئة.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل أبواب الحسنات متعددة وكثيرة جدا، بحيث لا يعجز أي إنسان عن الاستكثار منها، القوى والضعيف، والغني والفقير، والصغير والكبير والعالم والجاهل، كل من هؤلاء لـه طرق لا تحصى للحصول على الثواب. ويمكن التنبيه إلى: العمل الذي يتعدى نفعه إلى الغير أفضل من العمل القاصر الذي يقتصر نفعه على فاعله وحده. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

يمكن للإنسان أن يحصل على ثواب العمل مرتين، أو يحصل على ثواب بلا عمل بدني

---

(١) رواه مسلم.

ولا مالي . وذلك كما يقول الحارث بن أسد المحاسبي: بأن ينوي الإنسان قبل خروجه من بيته: ألا يجد ضعيفا إلا أعانه ، ولا أعمى إلا أرشده إلى الطريق ، ولا مريضا يعرفه من المسلمين إلا عادة ، ولا جنازة إلا شيعها ، ولا منكرا إلا نهى عنه ، ولا ملهوفا إلا أغاثه ، إلى آخر ما يمكن عمله من أعمال البر ، ينوي قبل خروجه أن يصنعه إن استطاع . فإن وجده فصنعه فله أجران: النية ، وأجر العمل . وإن لم يجد ، أو وجده ولم يستطع أن يصنعه ، كأن يعجز ماليا أو صحيا عن العمل ، فله أجر النية .

الأعمال العادية التي لا غنى للإنسان عنها ، كالطعام والشراب ، واللباس ، والجماع . يمكن تحويلها إلى أعمال ذات ثواب جزيل ، ويمكن تحويلها إلى أعمال ذات إثم شنيع ، ويمكن أن تكون أعمالا مهدرة ليس لها ثواب ولا عليها عقاب .

فالطعام والشراب إذا اقترن بنية القوة على العبادة ، والسعي في المعاش ، وفي مصلحة الأسرة . واللباس إذا اقترن بنية شرح الصدر والتحدث بنعمة الله . والجماع بنية العفة والإعفاف وهكذا بقية الأعمال ، كالجلوس مع الإخوان بنية التعاون على البر والتقوى ، كانت أعمالا ذات ثواب عظيم .

أما الطعام بنية القوة على البطش والتجبر ، واللباس بنية التكبر ، والجماع لإذلال الزوجة ، والجلوس مع الإخوان للهذر ، فكلها أعمال سوء ذات إثم عظيم .

فإن لم تقترن تلك الأعمال بنية مطلقا فهي هدر ، لا لها ولا عليها .

إفشاء السلام مشروع لتأصيل الحب بين المسلمين ، ولطلب الثواب عليه من الله ، وقد يدخل الشيطان على المسلم بخدعة ليبطل ثواب إفشاء السلام ، فيلقى في روع الإنسان: إنك لو لم تسلم على فلان لغضب منك ، فيسلم عليه لئلا يغضب منه ، وحينئذ يفقد المسلم نية طلب الثواب ، ولا ثواب له على إفشاء السلام ، فالأصل هو: طلب ثواب الله على السلام .

قربات وطاعات فى طريق الجنة :

١ -الإيمان والعمل الصالح: فقد ذكر الله سبحانه في سورة العصر أن الإنسان خاسر إلا: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ - ٣] .

وقال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥] ونظير هذا في القرآن كثير.

وذلك لأن الإيمان يوجب معرفة الله وخشيته ومراقبته وتوقيره ومتابعة رسول الله ﷺ والعمل الصالح يوجب فعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه من كبائر الإثم والفواحش.

٢-الصلاة: قال تعالى: ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فالصلاة ناهية عن الإثم والمنكر الموجب للحرمان من الجنة. وهي الماحية للذنوب والخطايا كما قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**» [(١)]، وقال رسول الله ﷺ: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**» [(٢)].

فبادر -أخي الكريم- بالحفاظ على الصلاة فإنها نور المؤمن في الدنيا والآخرة وعهده وفصل ما بينه وبين الكفر. قال رسول الله ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[(٤)].

٣- أداء النوافل: فهي تقرب إلى الله بعد الفرائض، وتكسبك حلة الولاية لله سبحانه لأنها موجبة لحبه وحفظه، وهي علامة حبك لله وطاعتك وإخلاصك. قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة -أو- إلا بني له بيت في الجنة**»[(٥)].

٤- بر الوالدين - من بين الأعمال الموجبة للجنة:، قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنف،**

---

(١) البخاري ومسلم.
(٢) مسلم.
(٣) مسلم.
(٤) الترمذي وقال: حسن صحيح.
(٥) مسلم.

ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة»[١].

فاحرص على بر الوالدين وأطعهما في ما أمرا إذا لم يكن أمرهما معصية لله وأحسن إليهما في الدنيا يحسن الله إليك بجنته وفضله وجوده، واعلم أن عقوقهما من أكبر الكبائر فقد قرن الله طاعتهما بالتحذير من الشرك والأمر بتوحيده. قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[النساء: ٣٦].

٥- التوبة هي من أجل القربات والعبادات، وهي منزلة لا يفارقها الصالحون في رحلتهم في هذه الحياة الدنيا، بل ولا الأنبياء والمرسلون. ذلك لأن الله تعالى أمر بها في كل وقت وحين وعلق الفلاح عليها.

فكل ابن آدم خطاء.. قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[النور: ٣١] فتأمل حفظك الله كيف وصفهم الله بالإيمان ثم دعاهم إلى التوبة ليعلم كل مسلم أن التوبة لازمة للعبد في سائر منازله التي يسلكها في طريقه إلى الله. وتذكر دائماً أن الجنة قد حفت بالمكاره وأن النار قد حفت بالشهوات وإلا كيف سيكون الاختبار وكيف يميز الصابر من الضاجر والمطيع من العاصي. قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها. قال: فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد..»**[٢].

* * * * *

(١) مسلم.

(٢) الترمذي وأحمد وقال: حسن صحيح وحسن إسناده الألباني في تخريج مشكاة المصابيح.